

اسم المادة: عقوبات

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: عقوبات
من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد؛

حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ومرحبًا بكم ولقاء جديد مع وقفة تربوية ومنهجية مع السنة النبوية أبدأ مع حضراتكم بهذا الحديث:

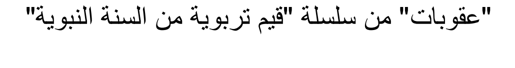
عن أبي ذرٍ –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ: المَنَّانُ الذي لا يُعْطِي شيئًا إلَّا مَنَّهُ، والْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الفاجِرِ" وفي رواية: "بالحَلِفِ الكاذِبِ"، "والْمُسْبِلُ إزارَهُ".[1]

لو احنا بنقرأ هذا الحديث فاكتفينا بالبداية ووقفنا: "ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ" ووقفت لحد كده المنطقة دي ولم أكمل، وقلت لك تخيل في ذهنك كده واحد وصل به في الحال أن يقف بين يدي الله –سبحانه وتعالى– يوم القيامة فلا يكلمه الله ولا ينظر إليه، قل لي ايه اللي في ذهنك من الذنوب والمعاصي اللي ارتكبه هذا الإنسان بحيث إنه يستحق هذا العقاب الأليم؟ ربك لا ينظر إليه، لا يكلمه، طبعًا أول حاجة هتأتي في الذهن ده أكيد عمل مصيبة، ده أكيد عمل ذنب عظيم جدًا، يعني أكيد واحد سفك الدماء ونهب الأموال، يعني أفسد في الأرض أيَّما فساد، يعني ذهنك دايمًا هيتصور المصائب العِظام، الأشياء اللي ممكن تكون فيها فساد رهيب عظيم يعم الناس، وبناءً عليه هيكون هذا الجُرم العظيم قدامه هذه العقوبة اللي تصل إلى حد أن الله –سبحانه وتعالى– لا ينظر إليه ولا يكلمه، يعني الإنسان لا يتخيل أبدًا إن لما نكمل بقى الحديث إن النماذج التي لا ينظر الله إليها، النماذج التي لا يكلمها الله –سبحانه وتعالى–منها المَنَّان والْمُسْبِل إزارَه.

طيب تعال بقى نشوف يا ترى المَنَّان ده عمل ايه؟ والْمُسْبِل إزارَه ده عمل ايه علشان ينال هذه العقوبة العظيمة ويكون له هذا الموقف الرهيب بين يدي الله –سبحانه وتعالى–يوم القيامة؟

هو مين هو المَنَّان أصلًا؟ يعني ايه كلمة منان؟ ايه هو المَنّ؟ المنّ هو عبارة عن إن الإنسان يعدد نعمه على الغير، أنت أعطيت للإنسان حاجة، مساعدة أو نحو هذا ثم بعد ذلك يظل الإنسان بقى يعدد هذه النعمة، يعني أنا اديتك كذا، ده أنا عملت لك كذا، أنت ناسي إن أنا اللي عملت لك كذا، فبيمُنّ عليه بهذه العطية، المَنّ ولو لمرة واحدة أصلًا يعني الإنسان لو أعطى صدقة لإنسان ومنَّ عليه بها محبط للعمل، محبط لهذه الصدقة، قال –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ" البقرة:٢٦٤،

[1] صحيح مسلم





يعني لو واحد تصدق على واحد مرة فحصل بعد كده بينهم شيء مثلًا من الخلاف أو نحو هذا فقاله يا راجل يا جاحد ده أنا اللي اديتك كذا، ده أنا اللي عملت لك كذا، منَّ عليه بهذه الصدقة، هذه الصدقة تُمحى ولا أكنه عملها، طب ده اللي عملها مرة واحدة أمال بقى المنَّان، المنَّان ده واحد أصلًا المنّ بقى في طبعه كلما أعطى يمُنّ، يُكثر من هذا المن فهذا الذي يكون حاله أنه وصف بهذا الوصف فصار ملازمًا له، وده حقيقة يعني المنَّان ده ورد فيها أحاديث كثيرة فيها الوعيد والتحذير من هذه الخصلة البغيضة كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ثلاثٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ العاقُّ والدَيه، والمرأةُ المترجلةُ المتشبهةُ بالرجالِ والديوثُ وثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ العاقُّ بوالدَيه والمدمنُ الخمرَ والمنانُ بما أعطى"[2]، وقال أيضًا –صلى الله عليه وسلم–: "لا يدخلُ الجنَّةَ منَّانٌ".[3]

طيب هو يعني هل يا ترى فعلًا فكرة إن واحد يمنّ التاني بالصدقة بتاعته أو بعطِيَّته هل فعلًا يعني العمل رهيب للدرجة دي؟ أقولك متقفش بس عند حد الإيه الفعل نفسه، وافهم ما وراء هذا الفعل، هو الإنسان اللي مَنّ بعطيته ده منَّ بها ليه؟ يعني اللي وصل لمرحلة إنه يعطي ويمُنّ على الآخرين بهذه العطية لماذا كان منه هذا المنّ؟ لو فهمت الأصل اللي بدأت به هذه الخصلة ومن أين نبعت هتفهم لماذا كان هذا العقاب العظيم، الإنسان المنَّان لا يعطي عطيته ويمنّ بها إلا لاستشعاره أنه هو صاحب الفضل، تَعاظُم نفسه في نفسه، نفسه بتتعاظم ويستشعر أن له القدرة، ويستشعر أنه هو صاحب الفضل، فيكون في نفسه الفخر والكِبر.

فالمنّ: هو أثر خارجي لخلل أكبر في الداخل، فتكون العقوبة ليس لمجرد الفعل وإنما للمنشأ الذي خرج منه الفعل، يقول الإمام القرطبي –رحمة الله عليه–: "لَا يكون الْمَنّ غَالِبا إِلاَّ عَن الْبُخْل وَالْكِبر وَالْعجب ونسيان –لاحظ دي– ونسيان منَّة الله –تَعَالَى– فِيمَا أنعم الله عَلَيْهِ، فالبخيل تعظُم فِي نَفسه الْعَطِيَّة وَإِن كَانَت حقيرة فِي نَفسهَا، وَالْعجب يحملهُ على النّظر لنَفسِهِ بِعَين العظمة وَأَنه منعم بِمَالِه عَلى الْمُعْطِي، وَالْكبر يحملهُ على أَن يحقر الْمُعْطى لَهُ وَإِن كَانَ فِي نَفسه فَاضلا، وَمُوجب ذَلِك كُله الْجَهْل ونسيان منَّة الله –تَعَالَى– فِيمَا أنعم عَلَيْه –اسمع بقى الحتة دي– وَلَو نظر مصيره لعلم أَن الْمِنَّة للآخذ لما يزِيل عَن الْمُعْطِي من إِثْم الْمَنْع وذم الْمَانِع وَلِما يحصل لَهُ من الْأجر الجزيل وَالثنَاء الْجَمِيل"

يعني عايز يقولك ايه؟ هو لو بيفهم وبيتدبر لعلم أن الآخذ له عليه منة، شوف بقى شوف المنظور يعني أنت بتمنّ على اللي أنت بتديله، ده أنت لو بتعقل ومتدبر شوية كده في حالك وحال اللي أنت بتعطي له لوجدت أن هذا الذي تعطيه له منة عليك أنت؛ لأن لما أنت أعطيته وهو أخذ منك هو أولاً طهَّر نفسك أنت من داء الشح، أزال عنك أنت كل ذم بأنك لا تعطي فصرت مُعطيًا، وصرت من أهل العطاء عند الله –سبحانه وتعالى–، ما صرت جموعًا منوعًا، ما صرت من أهل الشح، فأنت أصلًا عندما أعطيته وقَبِل منك أنت في تبعة كبيرة عليك اتشالت فضلًا عن تطهير المال وتزكيته وإن هو بيكون نامي عند الله –سبحانه وتعالى– "ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ"[4]، فإذًا هو لو فهم كويس لعلم أن المنة عليه لا له، وهكذا يكون الإنسان الذي يعقل عن الله، وعن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبالتالي حال المنان مذموم ليس لمجرد القول الذي قاله إنما كان هذا القول منبئ على مرض أعظم يستحق عليه هذه العقوبة، والكِبر أمر عظيم عند الله –سبحانه وتعالى–.



[2] مسند أحمد

[3] صحيح النسائي

[4] صحيح الترمذي



ونفس الحال اللي عند المنان هي نفس الحال عند الإنسان الذي يسبل إزاره خُيلاء، إسبال الإزار يعني إن الإزار بتاعه يمشي يجرجر على الأرض، وهنا الكلام تحديدًا على الذي يسبل إزاره على وجه الخُيلاء، ودي لعلها كانت فعلًا موجودة في فترة من الفترات كده في الحياة، كنت من زمان في الملابس القديمة تلاقي واحد مثلًا لابس عباية كده وماشي يجرجرها ليه؟ علشان ده منظر الإيه؟ الهيبة كده وسط الناس، زي زمان مثلًا كان برضه تلاقي مثلًا حد من الملوك يبقى ماشي كده وتلاقيه ماشي يجرجر وراه الثوب بتاعه دي كانت أصلًا هيئة فيها ايه فيها فخر وخيلاء عظيم، عشان كده كان برضه نفس الوعيد على هؤلاء اللي بيجروا الإزار على وجه الخُيلاء؛ قال –صلى الله عليه وسلم–: "لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى من جرَّ ثوبَه من الخُيلاءِ"[٥] وفي رواية: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ إلى مَن جَرَّ إزَارَهُ بَطَرًا"[٦]، وقال –صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ–: مَن جَرَّ إزَارَهُ لا يُرِيدُ بذلكَ إلَّا المَخِيلَةَ، فإنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلَيْهِ يَومَ القِيَامَةِ"[٧]، كل ده لتعظيم أمر ايه؟ أمر الكبر، أن يتعاظم الإنسان في نفسه هو ايه الداعي أصلًا لإن الإنسان يتكبر؟ الإنسان أضعف من الضعف، الإنسان فعلًا خلق على حال من الضعف "وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا" النساء:٢٨، أنت لا تملك من أمرك شيء، أنت لا تملك أصلًا أي شيء، كل ما أنت عليه هو نعمة من الله –سبحانه وتعالى– لا فضل لك فيها حتى لو أنت كنت سبب في اكتسابها، هذا الذي أنت فيه كله يزول في لحظة، الصحة اللي أنت فيها دي بتزول بلحظة، حتة فيروس لا يُرى حتى بالميكروسكوب العادي، لا يُرى إلا بالميكروسكوب الإلكتروني يعني محتاج أنت تكبره مليون مرة عشان تعرف تبص عليه وتشوفه ورغم ذلك هذا الفيروس قادر على إن هو يُقعدك ويمرضك ويصيبك حتى بداء لا تخرج منه بل وقد يقضي عليك وتموت.

أين أنت بقى؟ فين قوتك دي؟ ده المال الذي أنت عليه حتى لو كان مال قارون يذهب في لحظة، فمن أين يتحصـــل هذا العبد على اسـتشـعاره بالقوة؟ يعني منين جاله هذا الشـعور بالكِبر، هذا مرض عظيم؛ لأجل هذا كان هذا الوعيد الشـديد على مسـألة الكبر، أن يتكبر الإنســان على من حوله قال –صــلى الله عليه وســلم–: "ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن كِبْرِياءَ"[٨]وقال –صـلى الله عليه وسـلم–: "مَنْ كان في قلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من كِبْرٍ؛ كَبَّهُ اللهُ على وجهِهِ في النارِ"[٩] سـبحان الله العظيم، بل وأي لفتة تنم على الكبر لها منقعٍ ولها عقوبة عند الله –سـبحانه وتعالى–؛ قال –صـلوات الله عليه–: "من تعظَّم في نفسِـه أو اختال في مِشـيتِه، لقيَ اللهَ –تبارك وتعالى– وهو عليه غَضـبانُ"[١٠] بل وهذا وقع بالفعل قال –صـلى الله عليه وسـلم–: "بيْنَما رَجُلٌ –ممن كان قبلكم– يَجُرُّ إزارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ، خُسِـفَ به، فَهو يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ إلى يَومِ القِيامَةِ"[١١] يعني شـوف بيُعاقب إلى يوم القيامة لمجرد أنه كان يجر ثوبه خيلاء، ماشي كده يختال على البشر، وسبحان الله العظيم من منا يستطيع أن يجزم أن قلبه لا يحمل هذا القدر البسيط الضئيل جدًا من الكبر، مين فعلًا اللي يقدر يقول أنه طهَّر نفسه وطهر قلبه من التكبر على خلق الله بما أنعم الله به عليه، الأمر صـــعب، مش بالبســـاطة اللي أنت متخيلها، ده ممكن على فكرة تبص تلاقي واحد يعني فيه بعض الكِبر ومش لازم يكون مطَّرد في كل الأحوال، ممكن واحد يكون عنده فعلًا في مثل هذه في قلبه شـــيء من التكبر على بعض خلق الله،

[٥] صحيح الترغيب
[٦] صحيح البخاري
[٧] صحيح مسلم
[٨] صحيح مسلم
[٩] صحيح الترغيب
[١٠] صحيح الترغيب
[١١] صحيح البخاري





بينظر إلى من هو دونه، هو إنسان ممكن ميكونش مثلًا ذو سلطان ولا ذو مال عظيم لكن في قلبه مثل هذا، يجي مثلًا يقعد جنبه واحد من بسطاء الناس، لا، فيه أنفَة ازاي ده يقعد جنبي! ازاي ده يبقى تتساوى راسي براسه؟ واحد في موقف عابر في الحياة وهو ماشي في الطريق حدث له احتكاك مع واحد انسان بسيط كده أنت ازاي هتكلمني، أنت هترد عليا، أنت مش عارف ايه، شوف الحاجات البسيطة دي طب ما ده أكتر من اللي احنا اتكلمنا عليه، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ولو حتى حبة خردل، حاجة بسيطة قد كده في القلب من الكبر هي تحول بين المرء وبين أن يكون من أهل الجنة، مين اللي فعلًا اللي عندنا صار في قلبه مثل هذا الخضوع لله -سبحانه وتعالى-، والخشية من الله -سبحانه وتعالى-، والتواضع لكل خلق الله -سبحانه وتعالى-، حتى أنه لا يتعاظم في نفسه على خلق الله.

وأشر أنواع الكبر هو أن يتكبر الإنسان على من حوله بما وهبه الله به من العلم، قال الإمام الذهبي -رحمة الله عليه-: "وأشرُّ الكِبْر من يتكبر على العباد بعلمه، فإنَّ هذا لم ينفعه علمه، ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم، وازدراهم، فهذا من أكبر الكِبْر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" سامع؟ الإنسان اللي وهبه الله العلم وهذا العلم لم يثمر في قلبه الخشية والتواضع لخلق الله، ويثمر فيه العبودية والخضوع لله وعلى العكس أورثه التعاظم في نفسه والاستعلاء على من هو دونه، هنا الإمام الذهبي بيقول لك هذا أشر أنواع الكبر وهو عنده حق، لأن الواحد يفهم كويس إن واحد يكون عنده سلطة ملك من الملوك فيتكبر على الرعية، واحد يكون عنده مال إنسان غني بسط الله له في ماله فيتكبر على الناس؛ لأن هو معاه سبب مادي، لكن واحد ربنا ينعم عليه بعلم وخاصة لما يكون هذا العلم علم الشريعة وأنت ربنا فتح عليك بشيء من الفهم والفقه في دين الله، واستطعت إن أنت تنفي عن نفسك شيء من الجهل، واستطعت إن أنت تكون من الفاهمين لأمور الشرع، ده شرع؛ دين ربنا، الدين اللي أنت فهمته وعقلته، دين، يكون سبب في إن أنت تتكبر على المسلمين؟ طب دي تيجي منين دي؟

يعني الدين المفترض إن أنت تتعبد بيه لله -سبحانه وتعالى-، العلم ده دا علم للعبودية، أنت مفترض يثمر في قلبك عبودية لله، يخرج من قلبك الخير وينفي عنك الخبث، يكون هو سبيل لمرضاة الله -سبحانه وتعالى-، وهذا العلم أنت المفترض يبقى له ثمرة في نفسك وثمرة في من حولك، يعني أنت بتتعلم وتنفي الجهل عن نفسك وتكون من عباد الله الفاهمين في دين الله، وفي نفس الوقت بتكون من أهل الصلاح المصلحين، يعني صالح في نفسك تصلح في غيرك، تنفي الجهل عن نفسك وتعلم غيرك، فيثمر في قلبك العبودية وتعبِّد أنت الناس لله -سبحانه وتعالى-، فإزاي هذا الخير العظيم يثمر في قلبك هذا الشر؟
أقولك ليه؛ لأن هذا القلب ليس قلب خير أصلًا، هذا كانت نيته فاسدة ثم زاد فساده باجتماع الناس عليه، واستشعر في نفسه أنه صاحب قوة وصاحب كلمة، وعايز أقولك كمان وصاحب سلطة اه، العلم الديني أن يكون الإنسان له ما يوجِّه الناس به زي بالظبط السُلْطَة الدنيوية، ما هو أنت لما بيأتيك الإنسان فتقول له اعمل كذا، متعملش كذا، هو بيبقى في خضوع ليك، مستسلم ليك، لو أنت استثمرت هذا العلم طاعة لله ازددت رفعة في دين الله، لكن لو أنت شفت الأثر الدنيوي فصار الناس يخضعون لك ويعظمونك فتعاظمت في نفسك، فتحت على نفسك أعظم أبواب الشر، طب كل ده لما يكون أصلًا علم حقيقي، طب تخيل بقى في النماذج التي نراها الآن ونحن في زمان عجيب، صار الآن أي إنسان يستطيع أن يعرض بضاعته على الناس حتى لو كان إنسان يعني تافه مفيش في مخه حاجة أصلًا، يعني طالع يقول أي هبل فدا دلوقتي عادي له جمهوره وله من يتابعه على هذه السخافات ويعظُم عند الناس، بقى انفلونسر بقى ويعمل له قناة والناس تتفرج عليه والكلام ده كله وهو أصلًا ايه يعني، هو نفسه معندوش يعني أي محتوى فيه أي شيء من الهدف، هدفه هو اللا هدف.



ففي هذا الزمان اللي أي حد صار يستطيع أن يعرض نفسه ويعرض ما عنده للناس بقى ممكن إنسان مسكين يعني حتى حاله في أمور الشرع وأمور العلم بسيطة لكنه عبارة عن إنسان بسيط وسط مجموعة من الجهلاء فبالتالي عندما يعرض عليهم شيء بسيط جدًا من العلم يعظم في عين الجهلاء، هم لا يستطيعون أن يميزوا العلم الحقيقي من العلم الزائف، ولا يستطيعوا أن يميزوا العالم من مجرد طالب العلم فهو بالنسبة لهم شيء عظيم، طالع بقى في صفحته وبيتكلم وعمال يعرض مسائل، ويعرض ويعرض ويعرض فالناس بيعظمونه، فلما يكون هذا الإنسان مريض القلب عنده هذه الآفة هتجد بقى اجتماع الناس عليه وخضوعهم له وشيخنا وحبيبنا ومحبي الشيخ فلان والكلام ده كله خلاص بقى صار من أهل الحظوة، من أهل السلطة، هيبدأ يتعاظم في نفسه اللي هي حقيرة أصلًا فتجد فيه الكِبر وتجد فيه العجب وتجد فيه الحماقة فتجده يقاتل على رأي نفسه ولا يقاتل لإحقاق حق وإبطال باطل، وده من أبشع النماذج اللي ظهرت علينا في الحاضر، إن هم أساسًا أمثال هؤلاء هم لم يصلوا حتى لدرجة طلبة العلم حتى، فيتعالم بما لديه من هذه البضاعة الزهيدة، وللأسف يكون اجتماع الناس عليه إفسادٌ له، مش عايز أقولك إن أحيانا يكون اجتماع هذا الجمهور هو سبب فساده أصلًا، يعني هو ممكن ميكنش لسه عنده هذه الآفة لم تنموا لكن اجتماع الناس عليه وصاروا يعظمونه والكلام دا أفسدوه، وياما شفنا نماذج من هذا.

فنرجع إلى ما ابتدأنا به اللي وصل به الحال هكذا هذا على خطر عظيم جدًا، تخيل إن فيه واحد المفترض إنه بينفق عمره، بينفق عمره على أنه بيعمل لدين الله وفي النهاية يجد نفسه مبغوضًا من الله ولا ينظر الله إليه ولا يكلمه، وسبحان الله المفترض ده واحد بيقرأ كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، سمع من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول أول من تسعر بهم النار يوم القيامة مين بقى؟ مين أول من تسعر به النار ده؟ ده واحد بقى يعني عمِل عمَل رهيب يعني أفسد في الأرض أيَّما فساد، أول واحد تسعر به النار "رجل قرأ القرآن" قارئ أهو قرأ القرآن طب دخل النار ليه أول دخول؟ يارب أنا كنت بقرأ القرآن، قال إنما كنت تقرأ ليقال لك قارئ وقد قيل، أنت أساسًا كل اللي أنت عملته ده عشان يتقال عليك كذا، يتقال عليك فلان وقد قيل خلاص ألقوه في جهنم، نعوذ بالله من الخذلان.

قبل برضه ما يعني ما ننسى كده التفصيلة بخصوص اللي هو الإسبال؛ إسبال الإزار ده في حق الرجال وليس في حق النساء، الأصل في النساء إن هي بتسبل الثوب بحيث إن هو يغطي أقدامها، والمرأة يعني يكون الثوب وراها بحيث إن رجليها متتكشفش، فمسألة الإسبال دي في حق الرجال، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أذن للمرأة أن ترخي ثوبها شبرًا فالسيدة أم سلمة قالت تنكشف أقدامنا يا رسول الله قال يرخينه ذراعًا، فالفكرة هي ممكن يعني وهي ماشية الثوب وراها يكون ماشي مدلدل شوية لكن الراجل لأ، وطبعًا هو فيه خلاف ما بين أهل العلم حول تحريم الإسبال أن ثوب الرجل يكون طويل هل يا ترى هو محرم مطلقًا ولا هو محرم لأجل الخيلاء؟ جمهور أهل العلم على إن التحريم مخصوص بالخيلاء، لكن الأرجح هو قول من قال أن الإسبال فيه نوعين:
–فيه إسبال للخيلاء، ده اللي احنا كنا بنتكلم عليه، ده اللي وصل جُرمه أنه لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ويبغضه الله لما فيه من الكبر.

–أما من أطال ثوبه وليس للخيلاء فهذا أيضًا فيه مخالفة؛ فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ"[١٢]، والنبي –صلى الله عليه وسلم– فرَّق ما بين حالين: حال الإسبال لأجل الخيلاء، وحال الإسبال لغير الخيلاء؛ فقال –صلى الله عليه وسلم–: "إِزرَةُ المسلِمِ إلى نصفِ السَّاقِ" يعني المفترض إزار المؤمن، الإزار ده اللي هو البنطلون بتاعنا دلوقتي، الحاجة اللي تتلبس في الجزء الأسفل من الجسم، إزرة المؤمن إلى منتصف الساق، يعني مفترض البنطلون بتاعنا يكون في منتصف الساق ما بين الركبة كده والرجل المفترض يبقى في النصف قال: "ولا جناحَ فيما بينَه وبينَ الكعبينِ" الكعبين اللي هو العضمتين الناتئتين في آخر الساق فوق الرجل على طول، فلحد الكعبين مفيش مشكلة، يعني يبقى فوق الكعبين، قال: "ما كانَ أسفَلَ الكعبين، فهُوَ في النَّارِ" اللي هينزل عن الكعبين فهذا في النار، "ومن جَرَّ إزارَه بطَرًا لَم ينظُرِ اللَّهُ إليهِ"[١٣]، يبقى هنا النص فرق لي ما بين حالين؛ ما بين اللي هيجر الإزار بطرًا ده له عقوبة، عقوبة شديدة جدًا، ومن يطيل ثوب بغير بطر فهذا أيضًا فيه عقوبة.

طبعًا ورد في الحديث استكمالًا يعني للحديث اللي بدأنا معه "والْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذب" طبعًا هذا الإنسان ارتكب العديد من الموبقات:

أولاً: حلف كاذب.

ثانيًا: تغرير بالإنسان المسلم.

ثالثًا: أخذ المال بغير حق.

رابعًا: استخفاف أصلًا بحق الله –سبحانه وتعالى–، يعني استخفاف بإن هو بيقسم بالله –سبحانه وتعالى– وهو كاذب، يعني ده لا يصدر عن إنسان أصلًا في قلبه تعظيم لله –سبحانه وتعالى–، أنت بتقسم على كذب وعلشان ايه؟ علشان حاجة اللي هي مجرد بس بضاعة، في مثل هؤلاء يرد قول الحق –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" آل عمران:٧٧.

طبعًا فيه روايات كثيرة وردت في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الحلف الكاذب، وصور بإنفاق السلعة بالحلف الكاذب مثلًا ورد في رواية: "وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ باللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فأخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا"، وفي رواية: "فحَلفَ باللَّهِ لأَخذَها بِكذا وَكذا فصدَّقَهُ، وَهوَ على غيرِ ذلِكَ"[١٤]، وفي رواية: "ورَجُلٌ ساوَمَ رَجُلًا بسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ باللَّهِ لَقَدْ أعْطَى بها كَذا وكَذا فأخَذَها"[١٥]، يعني أنا عندي جانبين؛ جانب اللي بينفق اللي هو البائع، وجانب المشتري، فالبائع ممكن يكون بيحلف بالله كذب على سلعته، والمشتري كذلك ممكن يكون بيحلف بالله كذب وهو رايح يشتري السلعة، فالبائع ممكن يكون بيحلف بالله كذب بيقولك والله ده البضاعة دي واقفة عليَّا بكذا وأنا اشتريتها بكذا أو فيه واحد جاي عايز يشتريها مني بكذا ويحلف بالله وهو كاذب، كل ده عشان ايه؟ عشان يبيعها بالسعر اللي هو عايزه، وكذلك الحال بالنسبة للمشتري بتحصل كتير فيه واحد جاي يشتري يا عم بكام البضاعة الفلانية بكذا يا عم والله ده أنا شاريها قبل كده بكذا، ده أنا لسه دافع فيها كذا أو فيه واحد عرض عليا بكذا، وكله يقول كل هذا وهو كاذب، فاللي بينفق سلعته بالحلف الكاذب يعني بيبيع السلعة بثمن معين

[١٢] صحيح البخاري
[١٣] الصحيح المسند
[١٤] صحيح ابن ماجه
[١٥] صحيح البخاري



وهو بيحلف عليها كذب أو اللي رايح يشتريها وهو عمال يحلف بالكذب كل هذا ذنبه عظيم جدًا عند الله –سبحانه وتعالى–، وسبحان هذه الآفة انتشرت بشكل غريب، يعني الناس بتستسهل جدًا الكذب في مسألة البيع والشراء ومش بس كده كذلك ده بيستسهل جدًا كذلك الحلف بالكذب على البيع والشراء وهذا أمر عظيم زي ما احنا شوفناه يصل به الحال مش مجرد بس إنه يكتب عليه ذنب ده لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

يا أخي سبحان الله شوف كم من أبواب الشر اللي بتورد الإنسان في مهلكة عظيمة جدًا على أمر تافه جدًا، أنت يعني كسبت كم جنيه عشان السلعة دي، خدت أنت ايه لما طلعت بمكسب مثلًا خمسين ولا مية جنيه ولا حتى مليون جنيه ولا حتى فلوس الدنيا كلها تسوى ايه في إن أنت تقف بين يدي الله –سبحانه وتعالى– هذا الموقف؟ أنت مبغوض من الله –سبحانه وتعالى–، أنت شايف إن فيه حاجة في الدنيا تستحق الكلام ده كله؟ وده برضه من النقاط المهمة يا اخوانا كما أن الحسنات تتضاعف والله يضاعف لمن يشاء، السيئات برضه تتضاعف لكن خلي بالك بتتضاعف بايه؟ تتضاعف كيفًا وليس كمًا، يعني ايه؟ يعني أنت السيئة اتكتبت عليك سيئة مبيحصلش إن أنت تعمل سيئة واحدة فيكتب عشر سيئات، أنت ممكن تعمل حسنة واحدة والحسنة الواحدة دي تتضاعف تبقى خمسين ألف ضعف زي ما ربنا يضاعف لك، السيئة تتكتب سيئة واحدة ولا تتضاعف لكن تعظُم هي مش كتير هي هياها بس بتعظم، فتتعاظم السيئة في بعض الأحوال في زمان معين، في مكان معين، في حال معين؛ يعني ممكن واحد السيئة في حاله تكون أكتر من واحد تاني، زي مثاله قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ" [١٦] ده حال الجامع بينهم كلهم إن ده واحد مفيش حاجة تجبره أصلًا على المعصية؛

- واحد ملك مسلَّط، يكدب على الناس ليه؟
- واحد شيخ كبير، لماذا يقع في الزنا؟ ايه الداعي؟
- واحد فقير، لماذا يستكبر؟

فكذلك الحال قد تكون أنت في حال فعلًا أنت مش مجبر أو مفيش حاجة تدعوك لهذه المعصية، فعندما ترتكبها تتضاعف هذه المعصية، احذر، احذر، القضية مش قضية بس إنك تبقى فاهم ايه الحلال وايه الحرام، ده أنت تعرف في الحلال ايه أكتر حاجة تديك درجات من الخير وترفعك عند الله –سبحانه وتعالى–، وفي أبواب الشر تعرف إن أبواب الشر تتفاوت، قد يكون هناك باب للشر أنت تستحقره وقد يكون فيه مهلكة عظيمة، كلمة؛ قد يقول الإنسان كلمة يهوي بها عند الله سبعين خريفا.

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، أقول قولي هذا وأستغفر اللّٰه العظيم لي ولكم، وإلى لقاء قادم إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

---

[١٦] صحيح مسلم